

دراسات محكمة

التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة
طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات
والمظاهر

أنوزلا الحسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية
جامعة الحسن الثاني

09 فبراير 2022



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

مقدمة:

يعالج هذا المقال إشكالية التغييرات التي لحقت الجانب الاجتماعي والعمراني بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع سنة 1958، وذلك عبر رصد محدداتها والبحث في تجلياتها وتمثلاتها خلال مستوى زمني ممتد ومتواصل. وهكذا فإن دراسة هذه التحولات تشكل خطوة مهمة لفهم حجم التحديات، واستيعاب الإكراهات التي سيرت سياسة الدولة في تدبير ملف تنمية مدينة العصور بعد جلاء الاحتلال سنة 1958.

يحمل مفهوم التحول معايير التبدل المستمر في الأشياء، وكيفية التعامل معها، ويرتبط بأبعاد وجوانب تحددها مؤشرات دالة على هذه التحولات، خاصة في شقها الزمني والمادي الملموس، المرتبطة أساسا ببعض المحددات التي ترسم معالم التغييرات الاجتماعية والعمرانية كبنية ونسق متحرك بمدينة حجزت لنفسها مكانة مهمة في التاريخ المعاصر.

وتجد هذه المحاولة مشروعيتها في السابق على مستوى دراسة التأثيرات التي لحقت بمدينة طرفاية على المستوى الاجتماعي والعمراني بعد 1958¹ عن طريق استقراء ظروف وملابسات هذه التحولات والوقوع الذي أحدثته في البنيات الاجتماعية خاصة في شقها السوسيوثقافي، وتتبع ارتداداتها على النسيج العمراني للمدينة سواء على مستوى الشكل أو المضمون، والذي يشكل أحد تمثيلات الاستيطان البشري بها، ووجهها من أوجه التعامل مع المجال والتكيف مع إكراهاته وتحدياته. ومن ثمة تبرز أهمية التساؤل عن الهوية العمرانية التي يمكن أن تتشكل بمدينة تعيش على هامش تحديات طبيعية واقتصادية، وفي ظل مجتمع حديث الانتقال من البداوة إلى الاستقرار.

¹ - قدم الأستاذ محمد بنعتو دراسة بالغة الأهمية عن مدينة طرفاية عنونها بـ "طرفاية مدينة ساحلية تبحث عن تنمية إستراتيجية"، حاول أن يرصد من خلالها واقع إقليم طرفاية من عدة جوانب اجتماعية واقتصادية، وأبرز أيضا حجم التحديات الطبيعية التي تواجه التنمية بهذا الإقليم الفتي، كما تناول إمكانية استثمار الموروث التاريخي والحضاري في إطار مشروع سياحي طموح، وفي الأخير عرج على مكانة الإقليم في الإستراتيجية التنموية والإصلاحية للدولة. وعلى العموم فإن الدراسة تمثل مرجعا أساسيا للإطلاع على واقع المقومات التاريخية والاقتصادية لطرفاية، وحجم التطلعات المستقبلية والإكراهات العامة. كما كانت للأستاذ بنعتو مساهمة أخرى ضمن دراسته المعنونة بـ "مدن الصحراء المغربية"، ضمنها فصلا حول مدينة طرفاية عنونه بـ "طرفاية، مدينة صغيرة ومندھورة على الساحل الصحراوي"، تطرق فيها لمظاهر أزمة مدينة طرفاية، وحلل فيها أيضا البنية الحضرية من حيث الشكل والمضمون. أنظر:

- Ben Attou, (Mohamed), les Villes du Sahara Marocain : Espace, Économie, Société et urbanisation, Publication FIKR Collection Etudes et Recherches, 2007.

- Ben Attou, (Mohamed), Tarfaya une Ville du Littoral Saharien à la Recherche d'un Développement Stratégique, Centre des Etudes Sahariennes, Edition Bouregrag, Rabat, 2015.



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

أولاً: مدينة طرفاية: بين تحديات الطبيعة وضعف الحكامة الترابية

إن الحديث عن موضوع التحولات يقتضي بداية التأصيل لهذا المصطلح من الناحية الدلالية، وهكذا نجد أن لفظ التحول يقدم في الحقل الدلالي بشكل أقرب إلى مفهوم التغير سواء في اللغة العربية أو الفرنسية، بحيث ورد في لسان العرب بأنه "تنقل من موضع إلى موضع"²، وفي معجم LePetitRobert نجد مصطلح (Mutation) الذي يعني "تبدلاً عميقاً ومستمرًا"³ ويبدو أن مصطلح التحول في المعجمين يأخذ معنى عاماً وشاملاً، يحيل على التبدل من حال إلى حال وفق نسق يخضع لقوانين ومحددات داخلية وخارجية يحددها زمن التحول وظروفه، بمعنى أنه تفاعل واستمرارية لا يكون دائماً إيجابياً ووفق ما يراد له.

ترتبط مدينة طرفاية بتسمية "مدينة العبور"، ولهذا الاسم ارتباط وثيق وجدلي بالدور الذي لعبته في ربط أواسر التواصل، ومد سبل التلاقي بين الشمال ومجال الساقية الحمراء ووادي الذهب المحتل آنذاك، وكذا اعتباراً لدورها في تنظيم حدث المسيرة الخضراء سنة 1975، حين تجمع بها المشاركون من أجل العبور نحو منطقة الساقية الحمراء المستعمرة من طرف الإسبان.

وتبعاً لموقعها الجغرافي والإستراتيجي على ساحل المحيط الأطلسي، فإنها احتلت مكانة متميزة ضمن المشاريع الاستعمارية الأوروبية التي استهدفت المنطقة بأكملها خلال الربع الأخير من القرن 19م. وفي سياق ذلك يبرز مشروع التاجر الإنجليزي "دونالد مكنزي"، الذي يهدف من وراء مشروعه إلى إقامة محطة تجارية وتنصيرية على ساحل طرفاية سنة 1882م، تُتخذ لاحقاً كنقطة انطلاق أساسية للسيطرة على تجارة السودان. وقد عرفت هذه المحطة فيما بعد بـ"دار البحر" أو "كاسامار"⁴. كما تبوأَت هذه المدينة مكانة هامة في تاريخ البريد الجوي، حيث اشتهرت كمحطة محورية لنقل البريد بين أوروبا والسنغال، وذلك من خلال الدور التي اضطلع بها الطيار والأديب الفرنسي "أنطوان دو سانت إكزوبيري".

لقد شكلا لانتقال إلى المدينة سمة بارزة في حياة سكان مجال طرفاية، والذي بدأ أولاً كاستجابة للظروف الطبيعية القاسية، والتي حاولت الإدارة الاستعمارية استعمالها من أجل استقطاب أهل البادية نحو المدينة، ثم ثانياً فراراً من فضاء قاتل بحكم ظروف الحرب القاسية والمتسارعة التي دخلتها المنطقة.⁵

مما لا غرو فيه أن إكراهات التحولات الاجتماعية والعمرانية التي شهدتها مدينة طرفاية تتداخل بشكل لا يمكن الفصل بينها، وهو ما يجعل إكراهات توسع المدينة تتطابق بشكل كبير مع إكراهات نموها السكاني. لقد عاشت

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص. 189.

³ - Le Petit Robert, Dictionnaire de la Langue Française, Paris, 1993, p. 1641.

⁴ - حول المركز التجاري الذي أسسه مكنزي في طرفاية يمكن الرجوع إلى:

■ الناصري (أحمد بن خالد)، الاستقصاء، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الدولة العلوية، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، القسم الثالث، الجزء 9، دار الكتاب الدار البيضاء، 1997، ص. 181.

■ Caratini (Sophie), les Rgaybat 1610-1894, des Chameliers à la Conquete d'un Territoire, T. 2, l'Harmattan, Paris, 1989, p. 101.

■ Miège (Jean Louis), le Maroc et l'Europe 1830-1894, T. 3 P.U.F, Paris, 1961, p. 306.

■ Ben British Documents Respecting the Establishment of the North-West African Company By Donald Mackenzie in Tarfaya (Cape Juby) 1878-1895, Cahiers Hespéris-Tamuda, 2012.

⁵ - حريش (شغالي)، النخب السياسية في الصحراء: المسارات والخطاب مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، كلية الآداب والعلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية بمراكش، 2013-2014، ص. 241. (مرفوعة)



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

هذه المدينة في ظل معيقات عكسها سوء التقطيع الإداري بانتقالها من مجرد باشوية إلى جماعة ثم عمالة، فأثر هذا التقسيم بشكل كبير على النمو السكاني للمدينة، وعلى إمكانية تحول المدينة إلى محور استقطاب على ساحل الأطلسي، خاصة أنها تتوفر على إرث تاريخي عميق وموقع جغرافي مهم يحمل الكثير من المؤهلات التنموية التي يتيحها الزخم التاريخي والموقع الاستراتيجي على الساحل الأطلسي قبالة جزر الكناري.

تحكمت في هذا التقسيم عوامل جيوسياسية مرتبطة بتطورات قضية الصحراء، وتحول ثقل اهتمام الدولة بعد سنة 1975 إلى مدن أخرى كالعيون وبوجدور والداخل اللاتي وُجِهت إليهن أغلب المشاريع التنموية. زد على ذلك عدم تبلور الرغبة السياسية في تحويل هذه المدينة إلى قطب اقتصادي وإداري، وهو ما يمثل عائقا أمام عدم التوازن في التنمية بشتى أشكالها، ويكشف عن عدة مشاكل تعوق توسعها الحضري ترتبط بضعف الحكامة المحلية، وافتقاد المدينة لمخططات تهيئة حضرية، إضافة إلى مشاكل ترتبط بضعف البنيات التحتية الضرورية التي لا تكفي لاستيعاب بعض الأنشطة الاقتصادية كالصيد البحري.⁶ وقد زاد من حدة هذا الوضع انزواء المدينة على الساحل بعيدا عن ما يمكن أن يتيحه مرور الطريق الوطنية رقم 1 بها.⁷

لقد تحكمت في النمو السكاني والعمراي إكراهات طبيعية ترتبط بموقع المدينة وزحف الرمال الذي يقف عائقا أمام قيام تنمية محلية حقيقية، وما يزيد الطين بلة قوة التعرية الريحية التي تحول دون تثبيت الغطاء النباتي، خاصة أن التربة تفتقر لكل المكونات المعدنية والعضوية، وهو ما يجعل أية محاولة لتحسين التربة عبر آلية التشجير والمناطق الخضراء وإقامة المصدات مسألة غير مجدية.

ويتأثر هذا المجال الساحلي بشكل كبير بظاهرة التصحر (زحف الرمال)، وهو ما ينعكس على سير عمل بعض القطاعات الإنتاجية كالميناء الذي يعرف اختلالات على طول السنة.⁸ وتُعرف المنطقة أيضا ارتفاع نسب الرطوبة التحتية ونسبة الملوحة التي تصل إلى (4 إلى 16g)،⁹ وهو الأمر الذي يتفاقم مع ندرة المياه السطحية ورداءة ومحدودية المياه الجوفية، خاصة أن الفرشة المائية تتميز بارتفاع نسبة ملوحتها، إذ تتراوح بين 0,7 إلى 0,8 ملغ/لتر، مما يجعلها غير قابلة للاستهلاك ومعرضة للاستنزاف مع مرور الوقت.¹⁰ ويبقى اللجوء إلى تحلية الماء وسيلة لتجاوز العجز الحاصل في الماء الصالح للشرب، وذلك على الرغم من تكلفته الباهظة.

⁶- بلغ إنتاج ميناء طرفاية من الأسماك سنة 2009، بـ 6839 طن، أي ما قيمته 44833 درهم فقط، وعرف هذا الإنتاج تراجعا كبيرا سنة 2010، ليصل إلى 1132 طن، أي ما قيمته 34901 درهم فقط. ويرجع ذلك إلى ضعف تجهيزات الميناء وطاقته الاستيعابية، وتأثيرات المناخ القاري بسبب الإشراف على المحيط الأطلسي، وهو ما يجعل أنشطة الميناء تكون شبه موسمية، إذ تمتد من شهر ماي إلى نونبر بينما يسود الركود باقي الأشهر الأخرى. أنظر مونوغرافية جهة العيون-بوجدور-الساقية الحمراء، المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية بالعيون، 2011، ص. 34.

⁷- تقع مدينة طرفاية بين خطوط الطول 12.50 و 13 شمالا، وخطوط العرض 27.30 و 28 شمالا. يحدها من الشمال والغرب المحيط الأطلسي، بينما تقع شمال إقليم العيون بـ 100 كلم، وجنوب غرب طانطان بـ 240 كلم، وتتواجد على مشارف الطريق الوطنية رقم 1 الرابطة بين العيون وطانطان عند النقطة الكيلومترية 205 على مسافة 3 كلم. أنظر: مونوغرافية بلدية طرفاية، بلدية طرفاية، 2004-2005، ص. 4.

⁸- قامت المندوبية الإقليمية للتجهيز والمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر ببناء حائط للحماية من الترمل سنة 1997، لكنه لم يصمد أمام قوة الرياح وتراكم حجم الرمال التي عادلته في ارتفاعها ارتفاع الحائط نفسه، الأمر الذي دفع هذه الجهات إلى العمل على تنزيل برنامج للتشجير وتوسيع انتشار شجيرات الطرفاء ابتداء من سنة 2004. أنظر:

Abderrazak Es-sdiqui et Nourredine Sabri, Charte Urbanistique Architecturale et Paysagère de la ville de Tarfaya, Phase 2 : Rapport d'Analyse et Diagnostic, Agence Urbain de laayoune, 2010, p. 94.

⁹- Ben Attou, (Mohamed), Tarfaya une Ville du Littoral Saharien à la Recherche d'un Développement Stratégique, Centre des Etudes Sahariennes, Edition Bouregrag, Rabat, 2015, p. 32.

¹⁰- مونوغرافية بلدية طرفاية، بلدية طرفاية، 2004-2005، ص: 5



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

وتجعل هذه الظروف البيئية من نجاح المدينة في الاستقطاب الاقتصادي والبشري محل شك وارتياب، وهو ما يفرض البحث عن حلول جذرية لهذه المعضلة الطبيعية، وذلك في ظل معطيات مناخية لا تشجع على ذلك.

الجدول رقم (1): المعطيات المناخية بطرفاية

فصل الصيف	فصل الربيع	فصل الشتاء	
من 24 إلى 36	من 18 إلى 30	من 12 إلى 22	معدل درجة الحرارة
قطرات	10 ملم	16 ملم	الأمطار
75 يوما	60 يوما	55 يوما	عدد الأيام المشمسة
		الشمالية	الرياح السائدة

مونوغرافية بلدية طرفاية، 2004-2005، مرجع سابق، ص. 5.

إن هذه الظروف المناخية وغيرها تنعكس بشكل مباشر على طبيعة التضاريس ونوعية الغطاء النباتي الذي ينتشر بالمنطقة، والتي تتميز بنيتها التضاريسية عموما بالانبساط، ولا يكسر رتابته سوى كثبان رملية وعروق وشطوط وسبخات، بينما تتميز التربة بعدم قابليتها للزراعة. وعليه فإن التشكيلات النباتية التي تنتشر بالمنطقة ك"الطرفاء"¹¹ تتوزع بشكل متباعد، وتتصف بقدرتها على التكيف مع الجفاف والاحتفاظ بالمياه.

ثانيا: محددات التحولات الاجتماعية والعمرانية

عرفت مدينة طرفاية خلال الفترة المحددة مؤشرات دالة على التحولات التي مست الجانب الاجتماعي، وكان لها تأثيرات على جوانب أخرى مرتبطة بالعمران، حيث نجم عن ذلك تردد في الانتقال من نمط الترحال إلى نمط الاستقرار، وتغير في طبيعة النمو السكاني بالمنطقة، وهو ما أثر على أنساق العيش والعلاقة بالمجال.

1. وتيرة النمو الديموغرافي

تأثر النمو الديموغرافي لمدينة طرفاية بعد سنة 1958 بشكل سلبي بظاهرة الهجرة نحو جزر الكناري وإسبانيا، إذ عرف هذا النمو عجزا سنويا بلغ %2.87-، كما تأثر النمو الحضري للمدينة ابتداء من سنة 1971، بشكل أساسي بتسارع الحركة الديموغرافية التي عرفتها مدينة طانطان بعد تحولها من مجرد دوار سنة 1960 إلى مركز حضري سنة 1971؛ وهو ما حولها إلى قطب ذي جاذبية كبيرة خلال فترة السبعينات. ونتيجة لذلك انخفضت ساكنة طرفاية بشكل كبير ليصل عدد في نفس السنة إلى 1104 نسمة،¹² بعد أن بلغ خلال بداية الستينات 1521 نسمة. ويمكن تفسير هذه الأزمة الديموغرافية أيضا بالنزيف الحاد الذي لحق ساكنة الأرياف أو البوادي المجاورة للمدينة، والتغيرات التي مست نمط عيشهم بفعل انتقالهم للعيش في المدن- المراسي (العيون وطانطان والداخلة) التي عرفت دينامية اقتصادية كبيرة بعد سنة 1975.

¹¹- يُرجح أصل تسمية المدينة بطرفاية إلى نبات الطرفاء الذي ينتشر بشكل واسع بالمنطقة. وتعرف هذه الشجيرات أيضا باسم "الطرفة" (Tamarix sp)، التي تنتمي إلى شجرة الأثل. أنظر: فراس (عبد العزيز)، المعجم الحساني، جغرافي-بيئي-تراثي، تقديم محمد فتوح، منشورات مركز الدراسات الحسانية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2016، ص. 179 و219.

¹²- الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971.



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

ستعرف معدلات النمو الديموغرافي بداية الثمانينات ارتفاعا ملحوظا بلغ 9.19%، لتعود إلى الانخفاض مرة أخرى في الفترة الممتدة بين 1982 و1994، حيث استقرت عند معدل 3.72%، وهو ما يمكن تقديره عدديا ب 4506 نسمة بمدينة طرفاية فقط. ولم يتعد هذا العدد بعد انقضاء عشر سنوات 5615 نسمة، بمعدل نمو ضعيف لم يتجاوز 2.2% فقط،¹³ واستقر سنة 2014 عند 8027 فقط. في حين كان عدد بدو طرفاية سنة 1994 يقدر ب 3745 فردا، ليبلغ عددهم 4805 نسمة خلال إحصاء سنة 2004، مسجلا بذلك معدلا لزيادة سنوية تقدر ب 2.5%، وتجاوز عددهم سنة 2014 الخمسة آلاف.¹⁴

الجدول رقم (2): الدينامية الديموغرافية لمدينة طرفاية ما بين 1960-2014

معدل النمو الديموغرافي السنوي					عدد السكان حسب الاحصاءات					
2004- 2014	1994- 2004	1982- 1994	1971- 1982	1960- 1971	2014	2004	1994	1982	1971	1960
4.29	2,22	3,92	9,20	-2,87	8027	5615	4506	2909	1104	1521

Mohamed Ben Attou, op cit, p. 39.

لم تتغير المعطيات كثيرا خلال آخر إحصاء عرفه المغرب سنة 2014، حيث قدرت معطياته الرقمية عدد سكان إقليم طرفاية ب 13082 نسمة؛ منهم 75 من المقيمين الأجانب، بينما بلغ عدد الأسر إلى 3393 أسرة. وأظهر نفس الإحصاء أن عدد السكان الحضريين لم يتجاوز 8000 نسمة أي ما نسبته 61% من مجموع سكان إقليم طرفاية، في حين قدر عدد السكان القرويين ب 5000 نسمة، أي ما يمثل 39% من سكان الجماعات القروية التابعة للإقليم.¹⁵

13- الإحصاءات العامة للسكان والسكنى لسنوات 1994 و 2004 و 2014

14- نفس المرجع

15- نفس المرجع



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

الجدول رقم (3): تطور عدد سكان إقليم طرفاية حسب الوسط خلال الفترات (1994-2004-2014)

الإقليم	عدد السكان		معدل التزايد السنوي (%)	
	1994	2014	1994-2004	2004-2014
	معدل التزايد السنوي (%)			
إقليم طرفاية	8251	13082	2.3	2.55
الوسط الحضر	4506	8027	2.2	4.29
ي جماعة (طرفاية) الوسط القروي	3745	5055	2.5	0.52

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات: 1994 و2004 و2014.

تعكس هذه المعطيات الرقمية حجم الشرخ العميق في التطور الحضري لمدينة طرفاية، وتكشف عن حركية دائمة في تنقل الساكنة المحلية بحثا عن ظروف عيش أفضل، ولعل ذلك ما أدى إلى انخفاض معدل الكثافة السكانية الذي لا تتعدى 0.7 في الكلم².

إن السكان ليسوا مجرد أرقام في جداول، يسكنون ويتعلمون ويستهلكون، بل هم فاعلون من خلال ممارساتهم ومحركاتهم للمجال، فهم الذين يرسمون المدينة ويخططون لها، ويقيمون التقسيمات والعلاقات بينهم وبينون مساكنهم على صورة هوياتهم الاجتماعية والأسرية ويعيشون بها وفق تصوراتهم الذهنية ومحددات الارتباط بالمجال.

2. علاقة الإنسان بالمجال

شيد الإسبان بطرفاية بنايات عسكرية ومدنية مثل الثكنة العسكرية وحي المحيط ومدرسة ومستشفى وغيرها،¹⁶ وأنشأوا تجمعا سكنيا بحيين منفصلين، واحد منهما يسكنه الأهالي، والآخر أقيمت فيه البنايات الرسمية والمحلات التجارية، ثم أضيفت إليها مدرسة خاصة بالذكور وأخرى بالإناث، وكان النشاط الاقتصادي الهام الذي تعرفه المدينة هو الصيد البحري. وقد شكلت هذه المدينة إبان الفترة الاستعمارية الإسبانية قاعدة عسكرية متقدمة

¹⁶ - شرايمي (محمد)، المدن الصحراوية: النشأة والتطور، طوب بريس، الرباط، 2015، ص. 101.



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

لمراقبة القبائل والإشراف على الصيد البحري، ومثلت كذلك أقرب نقطة تربط جزر الكناري وسواحل الصحراء الأطلسية.¹⁷

وتبعاً لذلك، فإن الإدارة الاستعمارية الإسبانية بطرفاية حاولت إيجاد نخبة تلعب دور الوسيط في التعامل والتواصل مع البدو، باعتبارهم أعيان، وهو ما دفعها إلى تأسيس "دار" أو "ديار" كبيرة في المدينة، تسمح لهم بالتواصل مع الإدارة وبمراقبة السوق وضبطه، ومنهم من كان مستقراً بشكل تام بها (برجعيدار في المدينة).¹⁸ جاء الحضور الفعلي للدولة الوطنية بالمنطقة من أجل ضمان الأمن واستقرار الساكنة، وإدماج المنطقة في مشروع إعداد التراب الوطني، وصهرها في المشاريع التنموية وفق وتيرة تأخذ بعين الاعتبار تأخر استرجاعها، وذلك عبر توفير كافة سبل العيش الضرورية للاستقرار البشري (السكن، والماء، والغذاء، والخدمات الطبية، والأمن). وقد مر تدخل الدولة عبر آلية الجيش الذي كان يقوم إضافة إلى أدواره الأمنية، بأدوار أخرى ذات طابع اجتماعي وإنساني، باعتبار موقع هذه المدينة شمال المناطق التي كانت تحتلها إسبانيا آنذاك.

لقد كانت مدينة طرفاية محجاً لعشرات الآلاف من التجار المغاربة الراغبين في الدخول إلى مدينة العيون المحتملة آنذاك، لإنجاز الوثائق الإدارية التي تسهل عليهم الولوج إلى منطقة الساقية الحمراء، وفي سبيل ذلك كان المسؤولون بطرفاية يقومون بالتنسيق مع سلطات الاحتلال التي يوجد مركزها بالدورة التي تبعد عن النقطة الحدودية آنذاك بـ 26 كلم شمالاً. كما ارتبطت المدينة بحدث "المسيرة الخضراء" حين احتضنت عشرات الآلاف من المشاركين في هذا الحدث التاريخي.

وعلى صعيد آخر فقد اتجهت شريحة عريضة من ساكنة المدينة إلى ممارسة الصيد البحري التقليدي خاصة قبائل "لميار" و"مَجَاط" و"لَقَيْكَاث" اللاتي دأب أفرادها على ممارسة هذا النشاط بطرق تقليدية. وعلى العموم فإن الصيد البحري يشغل ما يناهز 70 % من اليد العاملة النشيطة، وتقدر إحصائيات الجهة الوصية على القطاع عدد القوارب العاملة بميناء طرفاية بـ 440 قارباً تقليدياً؛ تشغل ما يزيد عن 1350 صياداً محلياً ووافداً على الميناء. وقد بلغ إنتاج هذا الميناء 6839 طن من الأسماك المختلفة سنة 2009، أي ما يعادل 44.833 درهم، في حين سجل إنتاجه تراجعاً ملحوظاً ابتداءً من سنة 2010، إذ لم يتجاوز 1133 طن من الأسماك، أي ما قيمته 34.901 درهم.¹⁹ وعلى العموم فإن أنشطة هذا الميناء تتميز بموسميته، حيث تمتد من شهر ماي إلى نونبر، بينما يسود الركود في الأشهر الأخرى، وهو ما يساهم في ارتفاع معدلات البطالة بالمدينة.

وعاش النشاط التجاري حالة من الفوضى وسوء التنظيم المرتبط باستفحال التهريب والتجارة مع جزر الكناري بشكل غير قانوني، وجاء تدخل مندوبية وزارة التجارة والصناعة من أجل تنظيم القطاع واستقرار أسعاره، من أجل الحفاظ على القدرة الشرائية للمواطنين، وكذا تشجيعهم على الاستقرار وممارسة التجارة وفق ضوابط جديدة. ويعتمد النسيج التجاري الحالي على شبكة من محلات البيع والشراء الصغيرة الحجم والمتوسطة في انتظار

¹⁷-المرجع نفسه، صص. 101-102.

¹⁸- حريش (شغالي)، النخب السياسية في الصحراء: المسارات والخطاب مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، 2013-2014، مرجع سبق ذكره، ص. 242.

¹⁹- مونغرافية جهة العيون بوجود الساقية الحمراء، 2011، م. س، ص. 34.



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

بناء سوق أسبوعي، في حين تندر محلات بيع الملابس ومواد التجميل وقطع الغيار ومحلات بيع الأثاث والتجهيزات المنزلية.

لا يزال الكثير من سكان طرفاية متمسكون بتربية الماشية التي تشكل أحد مصادر الدخل الرئيسية لجزء مهم منهم. ويرتكز النظام الرعوي بهذه المنطقة على الترحال الدائم أو الموسمي، وتكون الحركات الرعوية إما فيشكل انتقال خارج حدود الإقليم في اتجاه إقليم السمارة شرقا، أو إقليم كليميم شمالا، أو في اتجاه النخوم الحدودية مع موريتانيا، كما يمكنها أن تقتصر على التحرك فقط داخل الإقليم نفسه حين تسمح الظروف الطبيعية بذلك. ويمتلك إقليم طرفاية عددا مهما من رؤوس الماشية المتنوعة، حيث يتشكل هذا القطيع من 103408 رأسا حسب إحصائيات سنة 2015²⁰ ويأتي الماعز في المرتبة الأولى ب 60427 رأس، بنسبة تقدر بحوالي 59 % من مجموع القطيع بالإقليم، ويليه قطيع الغنم ب 24046 رأسا بنسبة 23%، ثم الإبل ب 18935 رأسا بنسبة 18%.²¹

3. تطور الخدمات العامة

لطالما اعتمد التعليم لدى بدو الصحراء على الجامع والفقير الذي يعرف محليا ب"مُرَابُط" لتعليم أفراد المجتمع البدوي، وانتقل إبان الاستعمار إلى تعليم يعتمد على وسائل حديثة تتمثل في مؤسسات تعليمية. وبعد استرجاع مدينة طرفاية أنشأت بها مدرسة للتعليم الابتدائي تدعى "يحيى لكّدالي" سنة 1960 بالقرب من الحصن الإسباني على شاطئ البحر، ثم أضيفت إليها ملحقة سنة 1985²² وارتفع عدد المدارس بالمدينة بشكل رتيب نسبيا يعكس حجم النمو الحضري للمدينة، حيث يبلغ عدد المدارس الابتدائية بالمدينة 6 مدارس تحوي 1282 تلميذا بينهم 599 من الإناث، بمعدل 22 في كل فصل. بينما لا تتجاوز المؤسسات الإعدادية الثلاثة؛ يدرس بها 612 تلميذا، منهم 213 أنثى، بمعدل 36 في الفصل. كما نجد بالمدينة ثانوية واحدة يدرس بها 343 تلميذا بمعدل 30 في كل فصل.²³ في حين تغيب المؤسسات التعليمية الخاصة بشكل تام، باستثناء بعض روض الأطفال. وإجمالا فإن طرفاية تتوفر على عدد قليل من المؤسسات التعليمية، وذلك تبعا لعدة إكراهات لعل أبرزها التقطيع الإداري الذي جعل من مدينة طرفاية جماعة حضرية تابعة لإقليم العيون قبل أن تتحول إلى عمالة ابتداء من سنة 2009.

لقد ارتبط استقرار البدو بالمدينة بتحسين المستوى الصحي وتطور الخدمات الطبية، وبتغير القواعد التي كانت تتحكم في الوضع الديموغرافي خلال فترة الوجود الأجنبي بالمنطقة. وتبعاً لذلك استفادت الساكنة المحلية بعد الاسترجاع من العلاجات الطبية، وغيرها من الخدمات الطبية التي ساهمت في تغير وضعها الصحي إلى الأحسن. وبالرغم من ذلك فلا زال الوضع يحتاج إلى الكثير من العناية والبرامج، خاصة أن إحصائيات المندوبية الإقليمية للصحة سنة 2010 تفيد بتوفر إقليم طرفاية على مؤسسة صحية قديمة تضم أسرة طبية لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، كما لا يتعدى عدد المستوصفات القروية الأربعة، أما المراكز الصحية فلا تتجاوز الاثنين، ولا يتجاوز

²⁰دفتائر الجهوية (2017): جهة العيون الساقية الحمراء، مطبعة إديال، الدار البيضاء، ص، 60.
²¹ نفس المرجع والصفحة.

22- Abderrazak Es-sdiqi et Nouredine Sabri, op cit, , 2010,p. 43.

²³دفتائر الجهوية (2017): جهة العيون الساقية الحمراء، مطبعة إديال، الدار البيضاء، ص، 60.



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

عدد الأطر أربعة أطباء تخصص طب عام، في حين يبلغ عدد الأطر شبه الطبية عشرة أفراد فقط.²⁴ وهذا الواقع يستلزم تكثيف الجهود للنهوض بهذا القطاع وتوفير الخدمات الطبية بالمدينة، خاصة أن الكثير من ساكنتها لا زالت تنتقل إلى المستشفيات القريبة من أجل الحصول على خدمات وتطبيب أفضل.

وعلى الرغم من المجهودات التي بذلتها الدولة بالمنطقة، إلا أن المدينة لم تتجاوز بعد الوظائف التي أسندت إليها خلال فترة معينة، والتي حددت في الاهتمام ببعض الأمور الإدارية والعسكرية ارتباطا بحساسية المرحلة.²⁵ ولم يسهم ارتقاء المدينة إلى وضع مقرر عمالة منذ سنة 2009 في الرفع من الاستقطاب البشري والاقتصادي، فقد ظلت رهينة أزمة ديموغرافية واقتصادية وعمراية وبيئية أضعفت من قدرتها على منافسة مدن قريبة منها جغرافيا كالعيون ذات الإمكانيات الهائلة، أو مدينة طانطان بمينائها العالي الإنتاجية، وذلك على الرغم من إمكانياتها التجارية وقربها من جزر الكناري، وشواطئها الشاسعة ومواقع الصيد الوفيرة.

لقد ظلت هذه المدينة تعيش على هامش بنايات حضرية هشة، ومعدلات البطالة المرتفعة في مجتمع قليل الإنتاج يعتمد في غالب الأحيان على ما يرد عليه من مناطق أخرى، وهو ما جعلها نموذجا حيا لمجموعة من الاختلالات الاجتماعية والاقتصادية بالمجال الساحلي للأقاليم الجنوبية للمملكة.

ثالثا: مظاهر التحولات الاجتماعية والعمراية

1. المظاهر الاجتماعية للتحولات

إن المدينة قبل أن تمثل شكلا مورفولوجيا يحوي بنايات وشوارع وأزقة وغيرها، هي أساسا نمط عيش يميز أسلوب الحياة الحضرية تعد المهنة محوره الرئيسي، وكذا نسق التفاعل القائم بين الناس الذي يتمثل في التمايزات الاجتماعية التي هي من سمات الحياة الحضرية. هكذا تعتبر المدينة ذاك الفضاء الذي يشكل مكانا للاستقرار والسكن، ويتميز بأسلوب حياة حضرية. يتقاطع هذا الأمر بشكل كبير مع تعريف عالم الاجتماع الحضري الفرنسي كرافمير (Grafmeyer) للمدينة، حين اعتبر أنها "إطار مادي ووحدة حياة جماعية، وهي مركز تكوين الأشياء المادية وعقدة نظام العلاقات بين المواضيع الاجتماعية".²⁶

أما على المستوى الديمغرافي، فإن بعض الكتابات الأجنبية حاولت ملامسة وتتبع الأوضاع الديموغرافية للمنطقة خلال الفترة الاستعمارية، وفي سياق ذلك قدم دولاشابيل (De la Chappelle) تعدادا للقبائل التي تنتشر بالمنطقة قبل سنة 1930، حيث قال بأن قبيلة "أزركيين" تتكون من 1200 أسرة، وقبيلة "لمياز" تتألف من 70 أسرة، بينما قبيلة "لَفَيَّكَاتُ" تُمثّلها 50 أسرة، وقبيلة "توبالْتُ" ب30 أسرة.²⁷ غير أن هذه المجموعات العشائرية التي تمثل غالبية التركيبة البشرية لمدينة طرفاية، طرأت عليها تغييرات سوسيوثقافية مرتبطة بمجموعات بشرية وافدة على المنطقة خاصة من جهة سوس-ماسة-درعة وجهة تانسيفت-الحوز، إضافة إلى مناطق أخرى قريبة جغرافيا

24- نفسه، ص. 70-71.

25- Mohamed Ben Attou, op cit, 2015, p. 29.

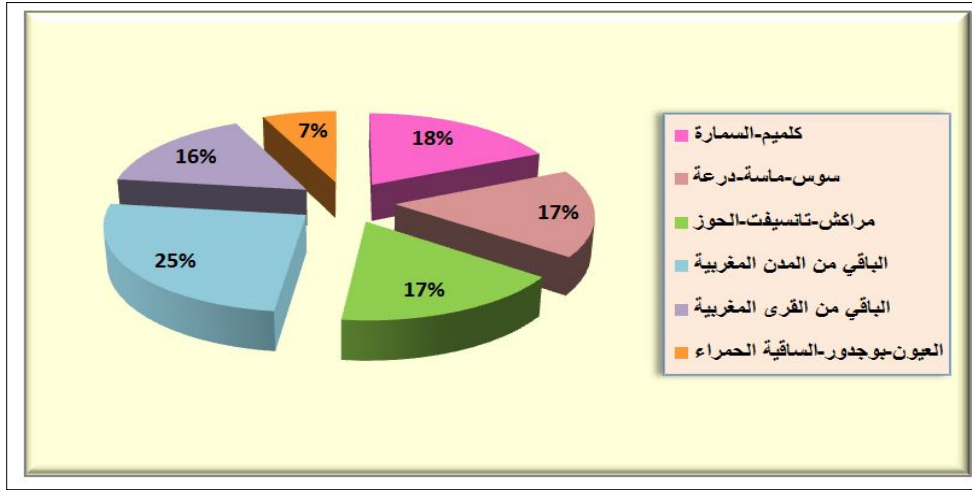
26- Grafmeyer (Yves), Sociologie urbaine, Edition Nathan Université, bessenay, France, 1999, p. 8

27- De la chapelle (Frédéric), Les Tekna du Sud Marocain, Collection Etudes sahariennes, Edition faculté des lettres de rabat et le centres des études sahariennes, Rabat, 1934, P. 33.

التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

كمدينة كلميم والسمارة.²⁸ ويكفي هنا أن نستحضر بعض المعطيات الرقمية التي تشير إلى أن السكان الأصليين يشكلون قرابة 54,8% من مجموعة سكان طرفاية سنة 1999، في حين يمثل الوافدون 45,2%.²⁹ وتكشف الإحصائيات التالية عن حجم الاستقطاب وتنوع مصادره، الذي عرفته هذه المدينة نهاية القرن العشرين ارتباطا بالرواج التجاري الذي عرفه ميناؤها خلال نفس الفترة.

الشكل رقم (1): أصول الوافدين على مدينة طرفاية



Abderrazak Es-sdiqui et Nourredine Sabri,(2010) op cit, p. 13.

ويبرز إحداث نظام للحالة المدنية كأحد أوجه التحول الاجتماعي المتمخضة عن الاستقرار الواسع للقبائل المؤثثة للمشهد الاجتماعي بطرفاية، حيث أضحت الأسر تحمل اسما عائليا أو "كُنْيَة" ترتبط في أغلب الأحوال بمنطقة معينة (الزروالي: نسبة إلى بلدة أَرْزَيْوَيْلَة جنوب كلميم) أو حدث أو انتماء قبلي، كما أصبح هؤلاء يؤرخون لميلاد أحدهم أو موته بالتاريخ الميلادي بعد أن دأبوا على التأريخ لذلك بحدث تاريخي أو اجتماعي أو طبيعي أو سياسي (عام موت فلان مثلا).³⁰

لقد ارتبطت حالة الاستقرار هاته بانخراط محدود لأبناء القبائل المحلية في الإدارة المستحدثة بمختلف أشكالها وتمثلاتها، إذ تم توظيف بعضهم في وظائف ب"القيادة" و"الدائرة" و"العمالة"، ومختلف المصالح الخارجية للقطاعات الحكومية، وهو ما أسهم في خلق نخبة محلية تستفيد من مجموعة الامتيازات، وتساعد على من أجل تجذير حالة الاستقرار وجعلها ظاهرة قارة. وقد قامت هذه النخبة بتفعيل هذا المعطى عبر تسجيل العناصر التابعة لها بمدينة طرفاية والجماعات التابعة لنفوذها، تبعا لعدة اعتبارات لعل أبرزها استثمارها ككتلة انتخابية وفق ما تحدده صلاتها العائلية والقبلية، وذلك على حساب علاقات أخرى يمكن أن يرسمها الانتماء الترابي والإداري.

²⁸- Abderrazak Es-sdiqui et Nourredine Sabri, op cit, 2010 p. 12.

²⁹- Ibid, p. 11.

³⁰- دحمان (محمد)، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر برانت، الرباط، 2006، ص. 198.



التحولات الاجتماعية والعمرائية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

وهكذا فقد أدت ظروف الاستقرار الجديدة بمدينة طرفاية إلى خلق حركية مست الأنشطة المزاولة من طرف أفراد هذا المجتمع الناشئ، حيث تحول هؤلاء من ممارسة الرعي والكسب إلى الاشتغال في قطاعات حكومية كالصيد البحري والتجارة والخدمات، والعمل بشكل عام في الإدارات المحلية كموظفين وأعوان وجنود وشيوخ وغيرها من الوظائف المرتبطة بالمصالح الخارجية للقطاعات الحكومية.

إن وحدة العائلة حتى وإن زاد تعداد أفرادها، تبقى هي الرمز الذي يدل على استمرار تأثير الروابط السلالية لدى المجموعات البدوية المستقرة، وهذه الوحدة المعبر عنها مجاليا باستغلال العائلة لنفس بيت السكن كتعبير عندرجات القرابة. لقد كان لسوء التقسيم الإداري،³¹ وتراجع عائذات الصيد البحري في ظل تنامي أنشطة ميناء مدينة الوطنية والعيون انعكاس واضح على بنية الأسرة وامتدادها حين أصبحت تتميز بطابعها النووي، فتراجع عدد أفرادها من 5.1 بين سنتي 1971 و1982 إلى 4.5 سنة 1994.³² وهي الوضعية التي تأثرت بتحول الكثير من شباب المدينة غير المتزوج إلى الاستقرار بعيدا عن الأسرة في مدن تتوفر فيها شروط أفضل للعيش،³³ بعد أن كانت القبيلة والأسرة التقليدية تمارسان سلطة أقرب للرقابة على أفرادها من الشباب، فلطالما ارتبط استقلال الشاب في مسكن لوحده بمؤسسة الزواج فقط من خلال ما يسمى محليا بـ"لغزِيل".³⁴

لقد أدى هذا الوضع إلى نمو الفردانية وظهور النزعة الاستقلالية لدى الأفراد التي تبرز أهم تمثلاتها في حرية اختيار الزوجة، بعد أن كانت مهمة كبار السن من الأسرة والقبيلة،³⁵ وهو ما يؤشر لبداية فقدان العائلة التقليدية لوظيفة التحكم والسلطة الجماعية.

ويبدو أن نفس الإكراهات ساهمت في ارتفاع نسبة العنوسة داخل أوساط الشباب من الذكور والإناث التي وصلت إلى حدود 50,5% في صفوف الذكور، و28,6% بالنسبة للإناث (أنظر الجدول 4). وذلك ارتباطا بتفشي ظاهرة البطالة، وضعف مردودية الأنشطة المزاولة، إذ تصل نسبة العاطلين عن العمل بطرفاية تحت سن 30 سنة، بالنسبة للذكور إلى حدود 86%، أما الإناث فتصل إلى 90%³⁶. لقد ساهمت قلة مناصب الشغل واتساع شريحة العاطلين، في ارتفاع نسبة الطلاق التي اقتربت من المعدل الوطني المقدر بـ34,2%³⁷.

الجدول رقم (4): توزيع الساكنة من 15 سنة فما فوق حسب الوضعية العائلية والجنس (1999)

الوضعية العائلية	الذكور	الإناث	المجموع
العازبون	50,5%	28,6%	41%
المتزوجون	48%	59,5%	53%
آخرين	1,5%	11,9%	6%

³¹ تأسست بطرفاية أول عمالة امتد نفوذها حتى مدينة اكادير منذ سنة 1958 إلى 1963، قبل أن يتم إلغاؤها بمرسوم. وبعد ذلك تم إلحاقها إداريا بمدينة طانطان، ثم فيما بعد ألحقت كجماعة حضرية بإقليم العيون قبل أن تحدث بها عمالة ابتداء من سنة 2009.

³² إحصاء سنة 1971 و1982 و1994.

³³ محمد دحمان، 2006 مرجع سبق ذكره، ص. 267.

³⁴ لقاء مع السيد ولدة الشيخ بمدينة طرفاية، يوم 29 غشت 2017.

³⁵ نفسه

³⁶ - Mohamed Ben Attou, op cit, 2015, p. 37.

³⁷ - Ibid, p. 38.



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

Abderrazak Es-sdiqui et Nourredine Sabri, op cit., (2010) p, 17.

لم تسلم وضعية المرأة من التغييرات التي مست هذا النسيج الاجتماعي، فاستطاعت الخروج إلى العمل، وتمكنت من التخلص من بعض القيود التي كان المجتمع البدوي يفرضها فيما سبق، إذ تحصلت على وظائف في القطاع العام بعد تحويل المدينة إلى عمالة سنة 2009. كما انخرطت العديد من النساء في مزاولة بعض الأنشطة المرتبطة ببعض الحرف التقليدية، وهي في مجملها ذات طبيعة نفعية تلي حاجيات السوق المحلية.

لقد تحولت عملية التوطين المدفوعة بظروف سياسية وأمنية ترتبط أساسا بالوظائف التي اضطلعت بها هذه المدينة ابتداء من سنة 1958، إلى توطين سريع وفجائي لمجموعة من القبائل البدوية نتج عنه تمدن قسري، وخلق لدى هؤلاء البدو ما يمكن أن نسميه "صدمة تمدن" انعكست على شكل وطبيعة تكيفهم مع البيئة الحضرية الجديدة، وولد نوعا من التحولات اللإرادية على المستوى الاجتماعي تعكسها حالة التباهي والتفاخر في المناسبات الاجتماعية خاصة الأعراس،³⁸ هذا الواقع الاجتماعي المستجد يرتبط بارتفاع تكاليف الزواج من حيث المهر والإعداد والطقوس الاحتفالية المصاحبة له،³⁹ والتي خرجت عن سياقاتها الداخلية، حين أصبح التزاوج يتم من خارج الفضاء القبلي، بل من خارج المدينة أيضا. وتحول هذا الطقس الاجتماعي إلى وسيلة للمحافظة على الثروة، بل تطويرها بالاعتماد على الزواج من الأسر ذوات النفوذ، ويمكن أن نرصد بعض الزيجات بنفس المعنى لأسر تنتهي لطرفاية (علاقة المصاهرة بين عائلة الرزمة وعائلة الشيعة).

تنزاح القيم الجماعية في فضاءات المدينة شيئا فشيئا لتحضر التنافسية الفردية تبعا للطموحات التي تتشكل في سياق تمثلات وإفرازات الحياة المدنية، ومن ثمة تتولد في المدينة قيمة لبعض الأشياء لم تكن لها نفس القيمة في فضاءات الروح الجماعية كحياة البادية.⁴⁰

لقد كانت ملكية العقار جماعية، حيث كل قبيلة من القبائل المؤثرة لمجال طرفاية بشكل عام، تعتبر مجالها ملكا خاصا، وهو أمر قائم على الادعاء أكثر منه على الأهلية. لكن الحالة هاته سرعان ما تفككت على هامش وضع جديد اتسم بالتنافس بين الأسر الميسورة على شراء العقارات والتظاهر بامتلاكها، سواء داخل المجال الحضري لمدينة طرفاية أو خارجه خاصة في مدينة العيون وأكادير.

عملت الدولة على خلق وتقوية النخبة المحلية بطرفاية من أجل تحقيق توازنم النخب الإقليمية (الجهوية) الأخرى، خاصة تلك التي تستقر بمدينة العيون، ولعل الرغبة في التنافس وإيجاد فضاء أوسع وأرحب هي التي شجعت الكثير من العائلات الميسورة إلى الانتقال من طرفاية إلى مدينة العيون، حيث إن فرص الاعتناء أكبر وأوجه التباهي والتفاخر أوسع (أهل حيدار وأهل الرزمة وأهل الدرهم وأهل كُريْتو).

وبطبيعة الحال فإن ذلك يمر عبر الدفع بطبقة اقتصادية طموحة طبيعيا وبخلق الأوراش الكبرى في الصحراء، أو بغض النظر عن الموارد غير المشروعة المتأتية من التهريب الذي يشكل رافدا حقيقيا للاعتناء بمجال

³⁸- لقاء مع السيد حيدار بمدينة طرفاية يوم 28 غشت 2017.

³⁹- الدحيمي (محمد)، مقارنة سوسيو أنثروبولوجية لمجتمعات البدو سكان الصحراء نمودجا، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية عين الشق- الدار البيضاء، 2005-2006، ص. 240.

⁴⁰- حريش (شغالي)، النخب السياسية في الصحراء: المسارات والخطاب مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، 2013-2014، مرجع سبق ذكره، ص. 242.



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

طرفاية، خاصة أن المنطقة مفتوحة على الساحل الأطلسي ولا تفصلها عن جزر الكناري سوى 100 كلم فقط، حيث تنشط عمليات تهريب غير شرعية في السلع والبشر، غير أن هذا الدفع هو مؤطردا بما باليات المراقبة والتحكيم، وخلق التنافس القبلية.⁴¹

إن التحضر والتمدن يؤديان إلى نهاية النشاطات التقليدية كالرعي والنجع، ويجبران أهله على تغيير طرق حياتهم والانخراط التدريجي في الحياة المدنية، والاندماج في النشاطات الجديدة والمصادر الجديدة للدخل، والاستفادة من الخدمات والتوزيع، خاصة خلال السنوات الأخيرة حين أعيد تصويب السياسات والبرامج الاقتصادية نحو المدينة من جديد. غير أن الاندماج في الأنشطة الاقتصادية والمصادر الجديدة للدخل، لم يحل دون محافظة سكان طرفاية على ارتباطهم الاجتماعي والاقتصادي الوثيق بفضاء الريف والبادوة وما يحمله من تمثلات.

لقد كان لندرة مصادر الدخل القارة انعكاس واضح في تمسك جزء من سكان طرفاية بتربية الماشية، وهو الأمر الذي كان يمكنهم من توفير بعض مصادر العيش التقليدية كالحليب ومشتقاته، إضافة إلى اللحوم. وتدخل ممارسة هذا النشاط في إطار سد الاحتياجات الحيوية، ثم الترويج عن النفس وتغيير الجو الروتيني بالمدينة، وليس من أجل إقامة أو تمويل مشاريع اقتصادية. وقد لوحظ مؤخرا انتشار بعض أكشاك بيع الحليب ومشتقاته الطبيعية على امتداد الطريق الوطنية رقم (1) الفاصلة بين مدينة طرفاية والعيون، وهي مشاريع صغيرة مدرة للدخل مدعومة من طرف المبادرة الوطنية للتنمية البشرية استفاد منها البدو المنتجعين بهذا المجال، وقد قدر دليل مخطط تهيئة مدينة طرفاية لسنة 2001 حجم هذه الفئة ب % 9 من مجموع الساكنة النشطة،⁴² إذ يشتغل في هذا المجال 812 كسابا.

ومما لا شك فيه أن إعادة تنظيم الأنشطة وتداخل نمط الحياة سيؤديان في نهاية المطاف إلى جعل نشاط الكسب، خاصة كسب الإبل، ترفا يمارسه الأغنياء والميسورين من أهل طرفاية، حيث أصبح شكلا من أشكال التباهي والتفاخر بعدما كان يعتبر نشاطا رئيسيا لعيش الرحل داخل مجتمع كان يعيش إلى وقت قريب على الكفاف والقلة. وقد ساعد انتشار أنشطة تهريب السلع الاستهلاكية والسجائر على تهميش نشاط الرحل، حيث تحول العديد من شباب المدينة إلى ممارسة هذا النشاط، بل أصبح وجهها من أوجه الثراء والاعتناء بالمنطقة.

إن التحول من حياة البداوة إلى الاستقرار دفع بقيم جديدة، ورسم حدود قطاعية تامة مع قيم وثقافة المجتمع الصحراوي البدوي في مقابل انتشار قيم المدينة الحديثة، حيث أصبح حب التملك والغنى هو الطاغى عوض العيش على القلة والكفاف، كما غدت للأرض قيمة في عملية الاستثمار التي تحددها درجة التملك.

2. المظاهر العمرانية للتحولات

يعتبر التحول العمراني - سواء أكان مخططا أم عشوائيا- جزءا من مراحل تطور وتوسع المدينة، وشكلا من أشكال التغييرات التي تمس هيكلها نتيجة ارتفاع نسب النمو السكاني وتزايد الأنشطة الاقتصادية. ويكون ذلك في القطاع المعمر (داخل المنطقة المبنية) أو على الأطراف، والذي تظهر نتائجه -أي التحول- في الوظيفة والحجم

⁴¹- حريش (شغالي)، النخب السياسية في الصحراء: المسارات والخطاب مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، 2013-2014، مرجع سبق ذكره، ص. 315.
⁴²- Abderrazak Es-sdiqui et Nourredine Sabri, op cit,(2010) p. 27.



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

والشكل. ومن هذا المنطلق، سنقوم من خلال المعاينة الميدانية المباشرة والإطلاع على بعض التصاميم،⁴³ بالتركيز على التحولات التي مست الجانب المورفولوجي للنسيج العمراني ونمط وهندسة المساكن، وأهم العوامل التي تحكمت في تطور أشكالها والنتائج المترتبة عن ذلك.

1.1 نسيج عمراني تقليدي

تقع مدينة طرفاية على ساحل المحيط الأطلسي وتحيط بها الصحراء من الشرق والشمال والجنوب. انتشرت على ترابها ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر، تجمعات سكنية متفرقة تسمى "لُفْرُكَانْ"،⁴⁴ ارتباطا بالدور التجاري الذي لعبته معلمة "كسا مار" أو "دار البحر" التي تعد من أقدم البنايات المشيدة بالمدينة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حين قام الانجليزي ماكينزي ببنائها سنة 1882 كمحطة تجارية بحرية على الساحل الأطلسي تستهدف استقطاب التجارة القفلية العابرة للصحراء.⁴⁵ وخلال مرحلة الاحتلال الإسباني التي امتدت من سنة 1916 إلى 1958، لعبت هذه المدينة دورا مزدوجا، فهي كانت قاعدة عسكرية إستراتيجية على الساحل الأطلسي، إضافة إلى دورها كمرقا للصيد البحري والملاحة التجارية خاصة مع جزر الكناري. وبالرغم من ذلك، فإن الإسبان لم يكن يهمهم في شيء تحقيق أي نوع من التنمية حول هاتين الوظيفتين بقدر ما اهتموا باستغلال خيرات المنطقة المعدنية والبحرية.⁴⁶

وعلى العموم، فإن التراث المعماري الإسباني بالمدينة يتمثل في عدة بنايات بسيطة متعددة الوظائف بحي المحيط مقابل الساحل الأطلسي، حيث نجد ثكنة عسكرية وبقايا المستشفى العسكري والسينما، وهي بنايات لا تعكس بأي حال من الأحوال وظيفة المدينة وإمكاناتها المختلفة. لقد سعى الإسبان إلى إقامة مراكز حضرية صغيرة منتشرة في أنحاء الصحراء مثل طرفاية، لأهداف أمنية وعسكرية محضة، ترتبط أساسا باحتواء البدو عبر تهجيرهم وغصيمهم على الاستقرار داخل مراكز تعتبر ثكنات عسكرية،⁴⁷ وهو ما جعلهم مستقرين فقط دون أن يصلوا إلى درجة التحضر.

يمثل شكل النسيج العمراني بمدينة طرفاية بعد سنة 1958، لزارته كوحدات وبنيات وسط الصحراء، أو كتل عمرانية مفقودة بالصحراء حسب تعبير محمد بنعتو.⁴⁸ وعلى مستوى الشكل لا تظهر بنايات مدينة طرفاية ذات الطلاء الأبيض والأصفر الباهت أي اهتمام جمالي أو معماري، إذ شيدت دون احترام واضح للقواعد الأساسية لتقنيات البناء المتعارف عليها، خاصة ما يتعلق باستعمال المواد الأولية والالتزام بتصاميم موحدة على المستوى المضمون والشكل، ويبدو أن البنايات السكنية الأولى عرفت بتفرقها وتشتتها، وهو الطابع المميز للسكن بشكل عام بها.

⁴³ - سننعمد في هذا السياق على العمل الميداني الذي قمنا به، وما توفر لنا من معلومات وتقارير استقيناها من لدن الوكالة الحضرية بمدينة العيون، إضافة إلى العودة إلى دراسة الأستاذ محمد بنعتو حول مدينة طرفاية (Tarfaya une Ville du Littoral Saharien).

⁴⁴ - مفردة فريك، هي مجموعة من الخيام تمثل عرش من أعراش قبيلة معينة، تمارس الترحال الرعوي بشكل جماعي.

⁴⁵ - بن الصغير (خالد)، طرفاية، 1997، مرجع سبق ذكره، ص 13.

⁴⁶ - Mohamed Ben Attou, les Villes du Sahara Marocain : Espace, Économie, Société et urbanisation, Publication FIKR Collection Etudes et Recherches, 2007, p. 95.

⁴⁷ - Ibid, p p. 94-95.

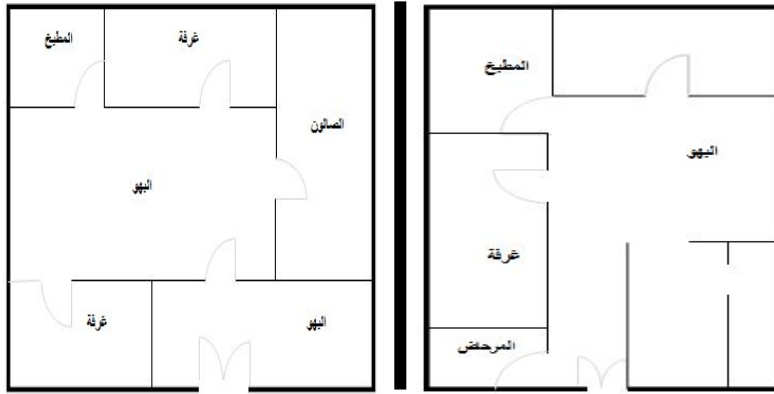
⁴⁸ - Ibid, p. 53.



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

إن ما يميز المشهد العمراني بشكل عام هو انتشار السكن الفردي الذي يمثل النسبة الأكثر في المدينة من حظيرة السكن في أجنحة عمرانية هي في عمومها مشاريع يغلب عليها الطابع الاقتصادي، حيث يحتل السكن الاقتصادي 80% من مجموع المساحة المبرمجة للسكن بالمدينة. وعلاوة على حفاظها على سمة التفرق والتشتت على تراب المدينة، فإن هذه البنايات مكونة من منازل ذات طابق واحد لا يتعدى طولها الأربعة أمتار متقاربة من حيث مساحتها التي تتراوح بين 100 و120 متر مربع، وذلك في إطار أحياء متباعدة جغرافيا سنفصل في ذكرها لاحقا.

الشكل رقم (2): خطاطة لنموذج المنازل، بمدينة طرفاية



المصدر: اقتراح شخصي

شيدت هذه الكتل المعمارية المستطيلة أو المربعة الشكل من الحجارة والإسمنت أو الأجر فيما بعد، ويلاحظ أنها تتميز بوجود بهو واسع (حَوْش) تتوزع حوله بعض الغرف، إضافة إلى غرفة كبيرة مخصصة للضيوف تسمى "مَصْرِيَّة"، وهي عناصر مقتبسة من الحياة البدوية. لقد كان البدو يفضلون "الدور الفسيحة التي تتوفر على حَوْش أو مَرَاخ مشمس، وقد تتوفر على حوشين، واحد أمامها والآخر خلفها".⁴⁹ واعتمد التسقيف في مرحلة معينة على الخشب فقط، ثم تم الانتقال إلى استعمال الإسمنت والخرسانة المسلحة حين أصبح سطح الدار مجالا لبناء الخيمة رمز تواصل ثقافة الأجداد.⁵⁰ وفي كثير من الحالات يُضاف للمنزل "حَوْش" من جهته الخلفية أو بجوار أحد جوانبه بغرض تربية الماشية.

كانت هذه المنازل في معظمها مساكن عائلية أنجزت بتكاتف جهود الأسرة من توفير وادخار ومساهمة الأبناء الكبار، وفي كثير من الأحيان ببيع الماشية بعد الانتهاء من حياة الانتجاع والترحال.⁵¹ وتعتبر المواد المستخدمة في البناء ضعيفة المقاومة، خاصة في ظل ارتفاع معدلات الرطوبة التي تتسرب من خلال الجدران، ويزيد من تفاقم ذلك فشل الصيانة والتركييب المكلف. ويعكس تفرق المنازل وتشتتها جزءا من ثقافة سكان طرفاية البدوية، وقد

⁴⁹ - محمد دحمان، الترحال والاستقرار، 2006، مرجع سبق ذكره، ص. 312.

⁵⁰ - نفسه، ص. 312.

⁵¹ - لقاء مع السيد حيدار محمد بمدينة طرفاية يوم 28 غشت 2017.

التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

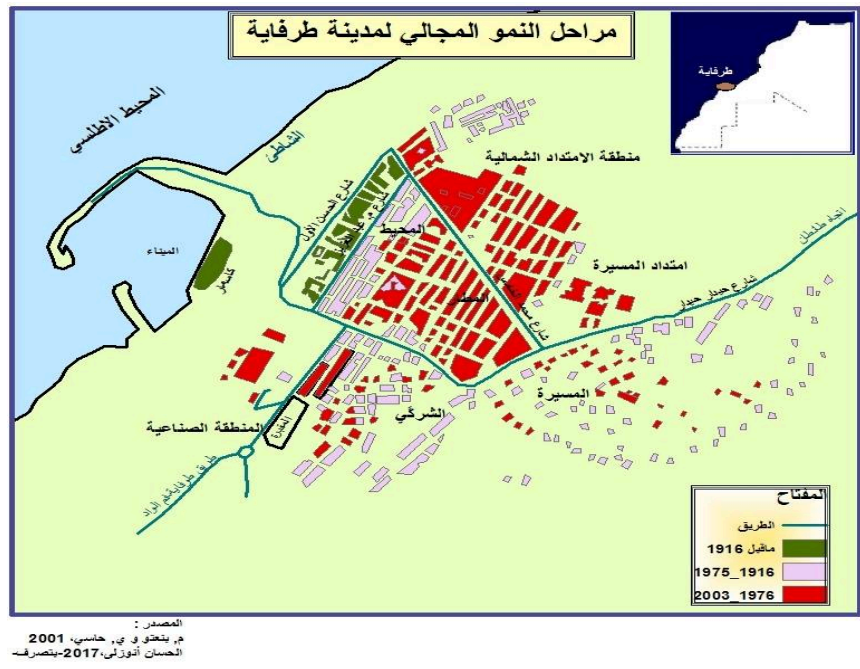


بنيت هذه المنازل بشكل أفقي في اتجاه الشمال الغربي بغرض تفادي تأثيرات ظاهرة الترمل، كما أن أبوابها ونوافذها صممت في اتجاه عكسي لهبوب الرياح.⁵²

1.2 التحولات في مورفولوجية النسيج العمراني

لم تعرف مدينة طرفاية دينامية كبيرة على مستوى التمدين والتوسع العمراني، حيث ظلت الأحياء الرئيسية هي نفسها: الحي الإداري، وحي المسيرة 1، وحي المسيرة 2، وحي التقدم ثم حي المطار. وهي أحياء تتوزع على الشارعين الرئيسيين، شارع محمد الخامس وشارع أحمد حيدار الذي يمتد إلى الشاطئ ويربط المدينة بالطريق الوطنية رقم 1. ويقدر عدد الوحدات السكنية التي قامت الدولة ببنائها بمدينة طرفاية سنة 1986 بـ 200 وحدة سكنية.

الخريطة رقم (1): مراحل التوسع مدينة طرفاية ابتداء من سنة 1916 إلى 2003



امتدت المدينة بعد ذلك في اتجاه الجنوب الشرقي، حيث تم تشييد حي المحيط المتاخم للساحل، إضافة إلى بناء تجزئة غير مكتملة تسمى المسيرة شرقا، ثم الحي الشرقي بالجنوب الشرقي، وفي اتجاه الجنوب والشرق نجد الحي الجديد وحي الفيلة، بينما شيدت مجموعة من البنايات سميت بحي المطار شمال المدينة الذي يتميز بكونه الأكثر تعميرا. وفيما بعد تمت إضافة تجزئة المنار التي تسهر على تهيئتها مجموعة "العمران الجنوب" منذ سنة 2014، وذلك في الطرف الجنوبي الساحلي من مدينة طرفاية. وعلى العموم فإن هذه الأحياء السكنية تحتل في مجملها مساحة تناهز 337810 مترا مربعا من مجموع المساحة الإجمالية للجماعة الحضرية لمدينة طرفاية.

⁵²- Abderrazak Es-sdiqui et Nourredine Sabri, op cit,2010, p. 70.



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

الخريطة رقم (2): تنطبق مدينة طرفاية حسب مخطط التهيئة الحضرية (2001)



بتصرف. Mohamed Ben Attou, Tarfaya une Ville du Littoral Saharien, op cit, 2015, p. 62.

يعتبر حي المحيط المتاخم للساحل، الأعلى كثافة سكانية بنسبة 37.35% من مجموع ساكنة المدينة، كما يعد الأكثر تنظيماً وهيكلية، حيث تحتل المنشآت العسكرية والإدارية ما يقارب من نصف مساحته، وتنتشر فيه مجموعة من المساكن الشعبية التي لا تتعدى الطابقين. في حين يمتد حي المسيرة في اتجاه الجنوب بنايته السكنية المتفرقة على مساحة تقدر بـ 36 هكتار، ويتميز بافتقاده لأية منشآت اقتصادية أو إدارية. ويمكن القول أن درجة التكامل بين مختلف مكونات النسيج الحضري غير متساوية، فإذا كانت منطقتا حي المحيط والمسيرة لدهما درجات مقبولة من الأداء الوظيفي والتكامل، فإن الشيء نفسه لا يمكن أن يقال عن مناطق أخرى مثل الحي الشرقي.

يمتد الحي الشرقي جنوب طرفاية بمساحة تقدر بـ 33.11 هكتار، حيث يتميز بضعف بنيته التحتية وافتقاده للمرافق الأساسية التي تتأثر بالظروف الطبيعية القاسية خاصة زحف الرمال، الأمر الذي ينعكس على أعداد



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

القاطنين به الذين يغلب عليها البدو.⁵³ وإجمالاً فإن حظيرة تطور السكن في المدينة تعطي فكرة واضحة عن الحركية العمرانية الرتيبة التي تتأثر برتبة الدينامية الديمغرافية العامة للمدينة.

ويشهد شكل البناء في التوسع الحالي للمدينة إدخال بعض التعديلات على النسيج العمراني القديم، حيث أصبحت البناءات تتشكل من عدة طوابق يتجاوز علوها 12 متراً، بعد أن كانت مساكن جد تقليدية لا تتجاوز في علوها الطابق الواحد، وفي أحسن الأحوال تتم إضافة السطح فقط. لقد تحول المنزل إلى شكل من أشكال التباهي والتفاخر من حيث الحجم والشكل والهندسة، إذ أصبح سكان طرفاية يولون اهتماماً خاصاً بالشكل الخارجي للمنزل من حيث الألوان والمظهر الخارجي، وتكسيير سيادة اللون الأصفر الفاتح على واجهات المنازل، عبر إضافة أعمدة إسمنتية زرقاء اللون بشكل عمودي من أجل إضفاء نوع من التجديد وتجاوز رتبة اللون الواحد. كما أصبحت الواجهات مفتوحة على الخارج من خلال عدة نوافذ وشرفات وبايين عوض باب واحد بواجهتين مزينتين، زد على ذلك توفر بعض المنازل على مرآب يستغل للسيارات، كما قد يستغل في إقامة مشروع تجاري بسيط، أو استفاد من عائدات كرائه.

ويبدو أن التجديد الذي مس شكل المنازل، وانعكس في اختلاف نماذجها وتنوع وتعدد المواد التي شيدتها، ليس فقط تعبيراً عن حاجات طبيعية مادية، بل هو أيضاً تحول ثقافي اجتماعي ورمزي يخضع لإكراهات وإمكانيات المحيط ولضغوطات مادية ووظيفية تحددها مصادر الكسب وحجم الموارد المالية، ويظهر في الواقع كحصيلة عوامل عديدة متشابكة ينظمها المجتمع، ويرتبطها حسب خصوصياته الثقافية. إن الهندسة المعمارية في بناء بعض المساكن والغريبة عن الثقافة المحلية، والتي أوضحنا سابقاً أنها كانت عمارة مفتوحة على الداخل تحافظ على حرمة وخصوصية الأسرة؛ لا يمت بصلتها إلى المنطقة لا من حيث بيئة الطبيعة الصحراوية، ولا من حيث القيم والعادات للسكان.

وفي إطار إعطاء المدينة نوعاً من الحركية الاقتصادية ووضعها على سكة التنمية الشاملة، تم بناء منطقة صناعية في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، وذلك من أجل استقطاب الصناعات البحرية ومنافسة موانئ كالعيون وطانطان. وتتوفر هذه المنطقة على قرية للصيادين على مساحة 15 هكتار، تهدف إلى تشجيع استقرار الصيادين بشكل عام بميناء المدينة، وأيضاً توفير سبل العيش لهم.

وعلى الرغم من أنها خالية من الأحياء الصفيحية والمخيمات السكنية، فإن طرفاية لا تزال واحدة من أكثر المدن المتهاككة على الساحل الصحراوي، وذلك في ظل معاناتها من ضعف شبكة الصرف الصحي، والطرق غير المعبدة، وعدم كفاية إمدادات مياه الشرب، إضافة إلى زحف الرمال على بعض أجزاء النسيج العمراني حيث تتسبب في هدم جزئي أو كلي للعديد من المباني. وقد زاد الأمر حدة إهمال تقنية المصدات التقليدية لزحف الرمال التي اعتمدت في الماضي.⁵⁴

⁵³-Abderrazak Es-sdiq et Nourredine Sabri, 2010, op cit, p. 49.

⁵⁴- هي حواجز تتشكل من أشجار للحد من الأثار الضارة الناجمة عن قوة الرياح، إلا أنها تبقى دون جدوى بسبب عدم وجود معطيات دقيقة حول سرعة واتجاه الرياح خلال السنة، ونظراً أيضاً للتغير المستمر لوجهة الرياح في اليوم الواحد، وكذا ندرة المياه.



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

إن هذه العوامل الذاتية والظروف الطبيعية تضغط بشكل كبير على المشهد الحضري وتجعل من إمكانية رصد ملامح هوية عمرانية واضحة للمدينة مسألة جد صعبة، كما أن التهيئة العمرانية للمدينة لا تقدم إجابات شافية حول صيانة المعالم التاريخية التي تشكل إرثا حضاريا للمدينة.



التحولات الاجتماعية والعمرانية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

خاتمة

إن الخصوصية الأساسية للمدينة المعاصرة بالأقاليم الجنوبية، هي كونها مدينة هجرات متوالية كبيرة صنعتها القرارات السياسية تحديداً، كان يراد منها خدمة مخرجات سياسية واجتماعية وأمنية إستراتيجية. وفي سياق ذلك، لا تشكل مدينة طرفاية الاستثناء، فالحركية العمرانية والاجتماعية البطيئة التي ميزتها لم تتضح معالمها النهائية بعد، ما دام واقع الحال يحيل على مجتمع محلي ناشئ في طور تحول غيرمكتمل يبحث عن هوية جديدة تضمن تثمين الرصيد الثقافي المحلي ضد التأثيرات الحضرية الحديثة.

لقد تأثرت مدينة طرفاية بالتفاوت الحاصل في التنمية وتركز الأنشطة الاقتصادية في مدن دون غيرها، ولعل ذلك ما أضعف من قدرتها على الجذب والاستقطاب على هامش منافسة مدن مجاورة تعرف دينامية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، تتعزز بموارد جديدة وحركة سياحية نشطة، كالصيد البحري والفوسفات، وتستفيد من بنية تحتية قوية (فنادق ومقاولات تجارية وشركات مختلفة)، وهو ما يسهل إيجاد تمثيلات للتحولات الاقتصادية والعمرانية بها.

لا يمكن تعريف أي مدينة بمعزل عن جغرافيتها وتاريخها، واللذان يمكن اعتبارهما عنصرين مهمين في حياة المدن. هذه الأخيرة التي تبنى على المكان، وتؤرخ من خلال عمرانها للحق بالزمنية المختلفة التي شكلت الموروث العمراني بكل زخمه، ولا يمكن أيضا إهمال بعض المحددات الثقافية للسكان وإرثهم التاريخي والهوياتي، ناهيك عن المعطيات البيئية والطبيعية التي تؤطر الفضاء الحضري.

إن هذا الواقع يفرض النظر إلى التراث المعماري الذي تزخر به مدينة طرفاية كبعد أساسي من أبعاد التنمية المحلية المندمجة، وكذا كمكان من مكونات الهيئة المجالية يستدعي الانخراط في جرده وصيانتها، ثم تثمينه في إطار نظرة شمولية تأخذ بعين الاعتبار رصد مختلف التفاعلات بين التراث وكافة الفاعلين الحكوميين، والانفتاح على ممثلي القطاع الخاص المحليين والأجانب، وذلك من أجل تنويع الموارد الاقتصادية القادرة على التأقلم مع بيئة المنطقة والاستثمار فيها لتجاوز محدودية القطاعات الإنتاجية والتشجيع على الاستقطاب والجذب وتوسع المدينة.



التحولات الاجتماعية والعمراية بمدينة طرفاية بعد الاسترجاع: رصد للمحددات والمظاهر

البيبليوغرافيا:

المقابلات الميدانية.

● لقاء مع السيد ولدة الشيخ بمدينة طرفاية يوم 29 غشت 2017.

● لقاء مع السيد حيدار محمد بمدينة طرفاية يوم 28 غشت 2017.

المراجع والدراسات باللغة العربية.

■ ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

■ حريش (شغالي)، النخب السياسية في الصحراء: المسارات والخطاب مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، كلية الآداب والعلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية بمراكش، 2013-2014، (مرقونة).

■ دحمان (محمد)، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوتر برانت، الرباط، 2006.

■ الدحمي (محمد)، مقارنة سوسيو أنثروبولوجية لمجتمعات البدو سكان الصحراء نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية عين الشق- الدار البيضاء، 2005-2006.

■ شرايبي (محمد)، المدن الصحراوية: النشأة والتطور، طوب بريس، الرباط، 2015.

■ فعراس (عبد العزيز)، المعجم الحساني، جغرافي-بيئي-تراثي، تقديم محمد فتوح، منشورات مركز الدراسات الحسانية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2016.

■ الناصري (أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الدولة العلوية، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، القسم الثالث، الجزء 9، دار الكتاب الدار البيضاء، 1997.

تقارير ومونوغرافيات.

● الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات: 1971 و1982 و1994 و2004 و2014.

● مونوغرافية جهة العيون-بوجدو-الساقية الحمراء، المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية بالعيون، 2011.

● مونوغرافية بلدية طرفاية، بلدية طرفاية، 2004-2005.

● موسوعة دفاتر الجهوية (2017): جهة العيون الساقية الحمراء، مطبعة إديال، الدار البيضاء



المراجع والدراسات باللغات الأجنبية.

- **Ben Attou, Mohamed**, les Villes du Sahara Marocain: Espace, Économie, Société et urbanisation, Publication FIKR Collection Etudes et Recherches, 2007
 - **Ben Attou, Mohamed**, Tarfaya une Ville du Littoral Saharien à la Recherche d'un Développement Stratégique, Centre des Etudes Sahariennes, 1^{eme} édition, 2015.
 - **Ben-Srhir, Khalid**, British Documents Respecting the Establishment of the North-West African Company By Donald Mackenzie in Tarfaya (Cape Juby) 1878-1895, Cahiers Hespéris-Tamuda, 2012.
 - **Caratini (Sophie)**, les Rgaybat 1610-1894, des Chameliers a la Conquete d'un Territoire, T. 2, l'Harmattan, Paris, 1989.
 - **Grafmeyer (Yves)**, Sociologie urbaine, Edition Nathan Université, besenay, France, 1999.
 - **Miége (Jean Louis)**, le Maroc et l'Europe 1830-1894, T. 3 P.U.F, Paris, 1961.
 - **Es-sdiqui, Abderrazak, et Sabri, Nourredine**, Charte Urbanistique Architecturale et Paysagère de la ville de Tarfaya, Phase 2 : Rapport d'Analyse et Diagnostic, Agence Urbain de laayoune, 2010.
 - **De la chapelle, (Frédéric)**, Les Tekna du Sud Marocain, Collection Etudes sahariennes, Edition faculté des lettres de rabat et le centres des études sahariennes, Rabat, 1934
 - **Le Petit Robert**, Dictionnaire de la Langue Française, Paris, 1993, p. 1641.
- Rapport Justificatif du Plan d'Aménagement de la ville de tarfaya, 2001.**